# قصص جنوح السفن في عُمان:
# المعاناة والكرم

**د. هلال الحجري**
**جامعة السلطان قابوس**

**مقدمة**

لأكثر من ثلاثة قرون، بين ما يعرف بعصر الاكتشاف والذي افتتحته رحلات كولومبوس وبزوغ عصر الإمبراطوريات، كانت روايات السفن الجانحة والمعتمدة على قصص حقيقية واحدةً من أكثر الأنواع الأدبية السوقية انتشارا في أوروبا. فبينما كانت الرحلات الناجحة للاستعمار والاكتشاف تخدم أغراضا سياسية وعلمية للإمبراطوريات النامية، كانت قصص السفن الجانحة ومغامرات الناجين منها تجد جمهورا متعطشا لقراءة كتابات شعبية بسيطة. وفي القرون اللاحقة، فإن قصص الكوارث والمعاناة مثل قصص اكتشاف القطبين، وتصادم الطائرات، وضحايا الكوارث الطبيعية، وغرق السفن، جميعها ظلت مزدهرة في أوروبا وأمريكا مقدمة حكايات مقنعة ومشوقة حول مآثر أصحابها ومعاناتهم. إن كثيرا من فن قصص جنوح السفن نشر بداية في مصنفات مشهورة ومتخصصة في السفر والمغامرات مثل مصنف رتشارد هاكليت: *الرحلات، والأسفار البحرية، والاكتشافات الكبرى للأمة الإنجليزية* (1589- 1600)، ولكنه لاحقا استقل تدريجيا بذاته في كتب أو كراسات منفردة ( Duffy 1955: 25). وأشهر هذه القصص وجد طريقه للنشر أيضا ضمن مصنفات أنطولوجية بلغات متعددة شملت الإنجليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والهولندية.

ومن أشهر هذه القصص التي كان لها صدى واسع في الفن والأدب الأوروبيين، قصة السفينة الفرنسية ميديوزي Méduse أو قنديل البحر، التي جنحت قبالة شاطئ أفريقي سنة 1816، فكانت كارثة مفزعة. بعد أن جنحت السفينة نتيجة الإهمال في مصب نهر بموريتانيا، أنقذ الربان نفسه ومن معه من الخواص على أحد قوارب النجاة، وبقي الآخرون على ظهر السفينة بأمل ضعيف في الحياة. مئة وخمسون منهم استقلوا طوافة واهية نصف مغمورة مزودين بقليل من المؤن، بعضهم غرق في الليلة الأولى وأغلبهم تشبث بالطوافة رغم الخوف والإرهاق. ثُلّة من الضباط والمسافرين حاولوا أن يسيطروا على الانضباط وجعل الطوافة آمنة، ولكنهم فجأة انجرّوا إلى نزاع مع مجموعة من البحارة والجنود الذين ثملوا بما تبقى عندهم من النبيذ، فتحولوا إلى عدوانيين هاجموا الركاب بالسيوف والسكاكين ورموهم في البحر. نتج عن هذه المعركة موت أكثر من ستين شخصا، وإصابة البقية بجروح بالغة، وفقدان براميل الماء والنبيذ في البحر. نوع من الهدنة تم الاتفاق عليه، ولكن الناجين تحولوا إلى أكلة لحوم البشر. بعد يوم آخر، نشبت معركة أخرى ولكنها هذه المرة بين الضباط الفرنسيين وتحالف جمع الأسبان والطليان والأفارقة، نتج عنها بقاء خمسة عشر شخصا فقط تم إنقاذهم لاحقا (Huntress 1975: 142-162). قصة هذه السفينة الجانحة أصبحت موضوعا لأشهر الأعمال الفنية مثل لوحات الفنان الفرنسي ثيودور جريكو، كما أنها وظفت في الشعر والمسرح ودور الأوبرا.

إن كثرة قصص جنوح السفن في الآداب الغربية يعكس مدى شيوع تلك الكوارث في البحار والمحيطات؛ حتى أن الإحصائيات تركت لنا أرقاما مهولة عنها في القرون الماضية. يذكر روبرت ماركس مثلا أن حوالي سبعة آلاف سفينة فقدت في مياه نصف الكرة الأرضية الغربية بين عامي 1492 و1825(Marx 1987: 17). وفي القرن التاسع عشر نجد صحفيا إنجليزيا يقتبس

إحصائيات من "المنظمة الوطنية للسفن الجانحة" تؤكد بأن حوالي 681 سفينة غرقت في المياه البريطانية سنة 1851، بل إن 134 سفينة إنجليزية غرقت في شهر مارس وحده من عام 1850(Horne 151: 152) .

إن المسافرين عبر المحيطات تعرضوا لظروف قاسية تختلف من مكان إلى آخر، منها: الظروف المناخية القاسية، وفيضان الثلوج، والانفجارات والحرائق على ظهور السفن، والملاحة البحرية السيئة، والخيانة والتمرد، وهجوم القراصنة وبعض الشعوب العدائية، ونكسات بعض المحبطين من الركاب الذين انتابتهم نزعات الجوع والعطش نتيجة الانقطاع في البحر فتحولوا إلى مجرمين، وغير ذلك من الظروف. ومن لم يمت منهم بالقتل أو الغرق أثناء الكارثة، واجه رحلة طويلة وقاسية للعودة إلى وطنه. قليلة هي المؤن التي كانت تبقى بعد جنوح السفينة، ومصادر الإنقاذ كانت نادرة؛ وعليه فإن الناجين من كوارث السفن واجهوا موتا بطيئًا؛ وغاية ما رماهم فيه القدر هو جزر قاحلة لا ماء فيها ولا حياة، أو سواحل غير آمنة يتملكها قطاع الطرق وبعض الخارجين على القانون.

وعليه، فإنه على الرغم من أن ضياع السفن أو جنوحها كان شبه حتمي، كان الحدث الأكثر تأثيرا هو النجاة من تلك الكوارث، وتطلب ذلك رواية قصة النجاة التي كان ينتظرها جمهور متعطش لقراءتها. هذه القصص، ومعظمها بصيغة المتكلم وبعضها مجهول المؤلف، كانت تروى بشكل متكرر خلال رحلة العودة وبعدها قبل أن يكتبها أحد الناجين، أو تُملى لكاتب متخصص، أو يتلقفها أحد الصحفيين المتشوّفين إلى مثل هذه القصص. وأثناء الكتابة، كانت هذه القصص دون شك يؤثر في صياغتها توقعات المتلقي، وأيضا أسلوب هذا الفن من السرد الذي كان قد ترسخ في الآداب الأوروبية منذ اليونان، ولكنها أيضا كانت تخضع لأهمية صدق الأحداث المروية حتى أن بعض الناجين كان يذهب إلى بعض رجال الدين أو الوجهاء في منطقته ليشهد له

بالصدق والأمانة، كما أن غالبية المؤلفين والمحررين حرصوا على تصدير كتبهم بملاحظات تؤكد بأن الأحداث صادقة ومباشرة، وإن كنا نلاحظ بأن الأنطولوجيات المتأخرة لقصص جنوح السفن لم تعد تحفل بهذا الصدق، بل إنها أحيانا تتعمد مزج الأحداث بالخيال والأساطير. ورغم أن تعاقب الأحداث الكارثية يختلف بشكل ملحوظ من قصة إلى أخرى، فإن هذه القصص أصبحت بمرور الزمن تعتمد في حبكتها على إحدى البنيتين: إما سلسلة من الأحداث تؤدي إلى الكارثة، ثم الجنوح، ثم الصراع، فالإنقاذ النهائي، أو جنوح أولي يتبعه حكاية معاناة الوصول إلى الشاطئ، مع مزيد من المحن أحيانا تحصل في بعض السواحل المعادية، ثم يعقبها الإنقاذ. ضمن هذه البنى السردية، تتكرر مجموعة من الثيمات، أبرزها: المعاناة الجسدية، والوحشية أو أكل لحوم البشر، إضافة إلى الصدمات النفسية المكبوحة. علاوة على ذلك، فإن هذه القصص تسهب في التوتر والتفسخ المطلق الذي يمس الوضع الاجتماعي على متن السفينة، كما أنها تصف الصدامات الثقافية بين القوميات الأوروبية المختلفة و أيضا بين الأوروبيين وغيرهم من الأمم ( Burch 1994: 27-29).

**تاريخ جنوح السفن في عمان**

إن تتبع تاريخ غرق السفن هو من وظيفة علماء الآثار وهم يعلمون أن حطامها يمكن أن يروي لنا الكثير عن تاريخ البحارة، والزمن الذي جنحت فيه السفن. وتهدف الحفريات الحديثة لبقايا السفن إلى استكشاف ماضيها وتقاليد الشعوب التي أبحرت عليها، وقد تأسس فروع من فروع علم الآثار مختص بذلك يسمى "علم الآثار البحري" Maritime Archaeology ( Gibbins and Adams 2001: 279). ورغم أن السفن الجانحة على شواطئ عمان يعود أقدمها إلى القرن السابع عشر فإن الدراسات الأثرية حولها معدومة وليس ثمة مصادر تاريخية أيضا

تعيننا على التوثيق الشامل لجنوح هذه السفن عبر تاريخ عمان الطويل، عدا شذرات متفرقة يمكنها أن تضيء لنا الطريق في هذا البحث.

لعل السفينة الإنجليزية مرتشنت ديلايتس *Merchants Delight*، لصاحبها الكابتن إدوارد سي Edward Say، والتي جنحت على شاطئ جزيرة مصيرة في عام 1684، هي الأقدم في تاريخ جنوح السفن على طول ساحل عمان. كانت مرتشنت ديلايتس سيئة الحظ حين جنحت على شاطئ الجزيرة في الليل؛ فبسبب الظلام لم يتبين ربانها صخرتين قريبتين جدا من الشاطئ، فانجرفت بينهما، ونتيجة لهذا تعبأت بالماء فورا سوى الطوابق العليا منها؛ مما وفر فرصة لنجاة الطاقم الذين بقوا أعلاها حتى صباح اليوم التالي. في الصباح اكتشفوا مجموعة من البدو، يقارب عددهم 500 رجلا، كانوا قد نصبوا خيامهم على مقربة من الشاطئ. أظهر البدو للطاقم نية المساعدة، وكما يصفهم القبطان إدوارد سي كانوا ماهرين في السباحة، فسبحوا إلى السفينة وشدوها بحبل حتى أوصلوها الشاطئ، ونجا طاقمها بسلام. تم إنجاز المهمة بكل سهولة، وساهم في ذلك وجود أحد طاقمها الذي كان يجيد العربية فكان وسيلة للتفاهم. ونظرا لما يصحب مثل هذه الحوادث من هلع وخوف من حالات السطو المرتبطة بالبحر، فقد طمّن البدو الطاقمَ الإنجليزي بأنهم ما جاءوا لنهبهم أو استغلال النكبة التي حلت بهم، وإنما أتوا لمساعدتهم مقابل رسوم ميسورة، يضمنها اتفاق عادل بين الطرفين. وافق الإنجليز على مقترح البدو، وكان الاتفاق على أن يتناصف الجانبان كنز السفينة، وبضائعها، وأثاثها، شرط أن يتكفل البدو بنقل الإنجليز إلى مسقط. وقد تم تنفيذ الاتفاق وبدأ البدو بالعمل على تفريغ كل ما في السفينة ونقله إلى الشاطئ، وقد استغرق ذلك العمل حوالي عشرة أيام، ونقتبس هنا سرد ألكساندر هاملتون، لبقية القصة:

في كل تلك الفترة التي عمل فيها البدو على نقل حمولة السفينة إلى الشاطئ، كان يكرمون الإنجليز بنوع ممتاز من لحم الضأن. ثم نقلوهم وحملوا مؤنهم إلى مسقط. وبعد أن اطمأن الطاقم، ونمت العلاقة بين المترجم والبدو، الذين كانوا كرماء وخيّرين، سألهم المترجم عن سبب تجمعهم في تلك الجزيرة القاحلة، فأجابوا بأنهم، قبل ضياع السفينة بثمانية أيام، تنبأ لهم أحد الفقهاء، وكان يتعاطى الكهانة في ديانتهم، بأنه في مثل هذا الوقت، ستضيع سفينة هناك، وحثهم على الذهاب إلى مساعدة أهل السفينة الجانحة، والذين سيكونون سعداء لإبرام عقد معهم، بمناصفة حمولة السفينة، وناشدهم القيام بمسؤولياتهم بإخلاص وأمانة. وقد فعلوا ذلك، استجابة لأمر فقيههم وإلا فإن البدو في بعض الأحيان غدارون، وخونة، وقساة (Hamilton 1930: 41-42).

الحادثة الثانية حصلت عام 1763 لسفينة هولندية اسمها أمستلفين Amselveen، وهي تابعة لشركة الهند الشرقية الهولندية. يوم 16 يونيو 1763 غادرت السفينة مرسى بتافيا في إندونيسيا متجهة إلى جزيرة "خَرْج" قرب البصرة. كان على متن السفينة مائة وخمسة ركاب، وحمولتها تتكون من السكر والبهارات والمعلبات. في البداية مضت رحلة السفينة عبر المحيط الهندي وبحر العرب بسلام، ولكنها انتهت بكارثة قرب "رأس مدركة" على ساحل عمان. ثلاثون راكبا فقط نجوا من غرق السفينة، وسبب الكارثة مازال مجهولا حتى الآن. أحد ضباط السفينة، واسمه كورنيلس آيكس Cornelis Eyks ترك مذكرات حكى فيها قصة رحلته ورفاقه الثلاثين من رأس مدركة مشيا على الأقدام بمحاذاة الشاطئ حتى وصل منهم رأس الحد في أقصى الشمال الشرقي من عمان ثمانية فقط، قاطعين مسافة قدرها 500 كم، ومن رأس الحد ركبوا قاربا محليا ووصلوا مطرح يوم 11 سبتمبر 1763، حيث استقبلهم هناك مندوب شركة الهند الشرقية الهولندية. نشر آيكس مذكراته حول هذه

الكارثة سنة 1766 وظلت مجهولة حتى سنة 1997 حين اكتشفها سائح هولندي في إحدى مكتبات فرنسا. هذه المذكرات اعتمد عليها كلاس دورنبوس في سبك قصة حول غرق السفينة أمستلفين ونشرها باللغة الإنجليزية سنة 2012 (Doornbos 18-19). [1]

الحادثة الثالثة لجنوح السفن في عمان حصلت لسفينة أمريكية من بوسطن، تسمى كمرس *Commerce*، كانت متجهة إلى بومباي في الهند. جنحت يوم 10 يوليو 1792 على الساحل الجنوبي لعمان عند "رأس شربثات"، على بعد 400 كم من صلالة شرقا (Ochs 1999: 115) . حدث الجنوح نتيجة لمزيج من سوء الأحوال الجوية والملاحة الرديئة، فكانت المأساة. كان هناك ثمانية عشر ناجيا من غرق السفينة قاموا برحلة برية طويلة إلى مسقط. استغرقت الرحلة أربعة وثلاثين يوما، وعندما وصلت المجموعة إلى مسقط يوم 12 أغسطس 1792، لم يبق منهم سوى ثمانية، وقد قضى الآخرون نحبهم على طول الطريق بسبب الظروف المناخية القاسية في الصحراء، في رحلة طويلة وشاقة، والأهم من ذلك بسبب نقص الغذاء والماء. عند وصولهم إلى مسقط، استقبلهم استقبالا حارا السلطان حمد بن سعيد الذي قدم لهم الغذاء والسكن حتى تماثلوا للشفاء التام. كتب أحدهم، واسمه دانيل ساوندرز، سردا طويلا لهذه المحنة. وقد نشر كتابه *يوميات أسفار ومعاناة دانيل ساوندرز* في عام 1794. [2]

وليام جيفورد بالجريف، أحد المبشرين البريطانيين، أخذ في مارس 1863، سفينة محلية من صحار متجها إلى مسقط، يتكون طاقمها من تسعة أشخاص تقريبا معظمهم من بلدة السويق إضافة إلى عشرة مسافرين آخرين، ولكن السفينة غرقت بالقرب من جزيرة السوادي على ساحل الباطنة، وقد نجا بالجريف وثمانية من ركاب السفينة بالتعلق بقارب النجاة الملحق بالسفينة، وبعد

غرق القارب أيضا، بالسباحة إلى الشاطئ. وقد سار هؤلاء التسعة بعد ذلك مشيا على الأقدام حتى وصلوا السيب، وهناك استقبلهم في قصره السلطان ثويني بن سعيد، الذي أكرمهم وأحسن إليهم وعوض صاحب السفينة الغارقة بسفينة أخرى. قصة هذه المحنة الرهيبة سردها بالجريف بأسلوب درامي أخاذ في كتابه *حكاية رحلة لمدة عام عبر وسط الجزيرة العربية وشرقها*، والذي نشر في لندن، 1865 (Palgrave 1865: 396-417).

في 2 أغسطس 1903، اندلع حريق هائل في السفينة الفرنسية التجارية لاميغال جيدون l'amiral Gueydon ، في بحر عمان متجهة إلى الصين، فجنحت إلى رأس حاسك، على بعد 180كم تقريبا من صلالة. كان طاقم السفينة يتكون من 56 رجلا، ولم يهلك أحد منهم؛ لأن ممثل السلطان فيصل بن تركي، واسمه سليمان بن سويلم، أرسل إليهم قوارب تحملهم إلى مسقط، وحين كانوا في طريقهم بالقرب من "رأس مدركة" التقطتهم الباخرة الروسية تروفر Trouvor. وبعد هذه الحادثة بعام، أي في 2 أغسطس 1904، اصطدمت باخرة إنجليزية اسمها بارون انفريدل Baron Inverdale بإحدى جزر كوريا موريا في الجنوب الشرقي من عمان، وكانت تحمل على متنها 31 شخصا معظمهم من البريطانيين. اختار ثمانية من طاقمها، وكانوا من اليونانيين، التعلق بحطام السفينة، وكان ذلك سببا في نجاتهم؛ إذ أنهم بعد أسبوعين مرت بهم بارجة إنجليزية أخرى اسمها بروم فأنقذتهم، وأما البقية فقد ركبوا قاربين، أحدهما لم يعرف مصيره وكان عليه ستة رجال، والقارب الآخر وكان عليه سبعة عشر بريطانيا اتجه إلى جزيرة مصيرة، وهناك حسبما يزعم جون لوريمر وغيره من المؤرخين الإنجليز، ذبحهم البدو للاستيلاء على أمتعتهم. يؤكد لوريمر بأن السلطان فيصل بن تركي لم يتوان، بعد علمه بالحادثة، في الذهاب إلى مصيرة بصحبة الوكيل السياسي لبريطانيا في مسقط، العقيد جراي، للتحقيق

في المجزرة، فلم يعثر على دليل يدين الجناة. ولكنه عاد إلى الجزيرة بمفرده في شهر سبتمبر؛ فأحاط بكل تفاصيل الجريمة، وقد رجع إلى مسقط بعشرة من الجناة الذين شاركوا في القتل، واثني عشر شخصا ممن تستروا على الجريمة، وبعد إدانتهم في مسقط أعيدوا إلى مصيرة وأمر السلطان بإعدامهم رميا بالرصاص. ويضيف لوريمر بأن السلطان أمر بحرق قرية "جدوفة" لقربها من مسرح الجريمة، كما أقيم نصب تذكاري من الرخام على قبور ضحايا السفينة البريطانية (Lorimer 1970: 474).

**تعامل العمانيين مع الناجين من السفن**

سنتناول الآن نموذجين من قصص جنوح السفن في عمان لنتبين السلوك الذي اتبعه العمانيون مع الناجين من غرق السفن أثناء مسيرهم من موقع الكارثة على الشاطئ إلى بر الأمان وهو مدينة مسقط غالبا لكونها العاصمة العمانية والمرفأ التجاري الذي كانت تتوقف فيه السفن العالمية في عبورها من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق. والنموذجان اللذان سنتناولهما لهذا الغرض هما السفينة الهولندية أمستلفين، والسفينة الأمريكية كمرس؛ وذلك لأن هاتين الحادثتين نشر عنهما قصة كاملة رواها أحد الناجين من السفينة، أما الحوادث الأخرى فلا نجد لها مصدرا أوليا عدا ما تتناقله كتب التاريخ وعلى نحو موجز جدا.

**السفينة الهولندية أمستلفين**

بعد كارثة جنوح السفينة أمستلفين قرب رأس مدركة، يروي لنا كورنيليس آيكس أن ثلاثين راكبا فقط من جملة 105 استطاعوا الوصول إلى الشاطئ بسلام، وأنهم وجدوا البحر قد لفظ بجانبهم من حمولة السفينة بقرة واحدة، وتسعة خنازير، وبعضا من براميل زيت جوز الهند، وبرميلا من اللحم، وبرميلا من الفاصوليا الفرنسية، وبرميلا من الملفوف المخلل، وبرميلا من

النقانق، وبرميلا من الطحين. وهكذا، استعانوا بما خف حمله مما تبقى من حطام السفينة، يكفيهم لثلاثة أيام، وأخذوا رحلتهم حفاة عبر أرض ذات صخور وجروف باتجاه رأس الحد. بدأت الرحلة يوم الثلاثاء 11 أغسطس 1763، وفي اليوم الثالث تخلف أحدهم مفضلا الموت على المضي قدما دون أمل في طعام أو ماء.

أول اتصال بالناس يحدثنا عنه آيكس كان في صباح اليوم الثالث، حين التقوا بامرأتين وشابين، وكان المشهد كما يبدو من وصفه غرائبيا؛ إذ لغة التفاهم بين الطرفين كانت معدومة، الهولنديون يسألونهم عن الطريق إلى مسقط وعن بعض الطعام والماء، و"الآخرون" يظنونهم قوما غزاة، فكان لا بد من عدم الثقة. يقول آيكس:

مشينا إليهم، ولكنهم ساروا بعيدا. واصلنا مسيرنا نتبعهم حتى وجدنا ناقة مقيدة، ولما اقتربنا منها أتونا مسرعين. لقد كانت ناقتهم. وكما بدا لو أنهم لم يجرؤا على الاقتراب، وقفنا قريبين من بعضنا البعض تحسبا لأي شيء. لم يفهمونا ولم نفهمهم، ولكنهم أوضحوا لنا بالإشارة إذا ما تقدمنا فإن رقابنا ستقطع (Doornbos 56).

وبلغة الإشارة استطاع الفريقان التفاهم لاحقا؛ إذ يخبرنا آيكس بأن العرب سألوا الهولنديين من أين أتوا، فأخبروهم بغرق السفينة وأنهم يريدون منهم بعض الطعام والماء، ولكنهم أخبروهم بأنهم لا شيء من هذين لديهم، وقاسموا الهولنديين قليلا من "ماء مُغبرٍّ من قربة جلدية". ولكن في المساء تعقد الوضع ويذكر آيكس أن ثلاثة رجال قدموا إليهم، ثم انضم إليهم تسعة آخرون:

جميعهم أخذوا يغنون ويرمون نصول خناجرهم إلى الأعلى ثم يقبضونها، وأتوا إلينا بسيوف مسلولة، وتصرفوا كما لو أرادوا أن يأكلونا أحياء. قفزوا من فوق جمالهم وأتوا نحونا، وقد حاول رجل عجوز منهم أن يهدئهم، ولكنهم

أشهروا سيوفهم بشراسة أمامنا وحصبونا بالحجارة. عندئذ، التقطنا بعض الحجارة ورميناهم بها بأقصى قوتنا. بذلك أجبرناهم على الفرار. ولكنهم عادوا ثانية ورموني بحجر سبب لي جرحا جنب العين، كما أنهم جرحوا بسيوفهم أحد البحارة لدينا في عنقه. لففنا جرحه بقطعة قماش وأبعدناهم عنا ثانية. تركونا بسلام بقية تلك الليلة (Doornbos 58).

رغم هذا العنف الذي تعرض له الهولنديون، فإنه وعلى نحو غريب يؤكد لنا آيكس بأنه في اليوم الرابع 15 أغسطس أرسل إليهم البدو، أنفسهم الذين اشتبكوا معهم في اليوم السابق، رجلين يحملان قربة من الماء خففت عنهم العطش، بل عرضوا عليهم تزويدهم بالماء والطعام مقابل ترك مقتنياتهم التي يحملونها لهم. لم تحدث هذه المقايضة؛ لأن البدو، كما يزعم آيكس، أخذوا يفتشون ملابسهم أيضا؛ مما أحنق الهولنديين وجعلهم يرفضون سلوك البدو. ولكننا نعلم أيضا أن هذه المناوشات بينهم وبين البدو انتهت بسلام حين اكتفى البدو بقبول بعض الملابس من الهولنديين. لم تقتصر معاناة الهولنديين على مناوشات البدو، وإنما قسوة المكان وشدة الحرارة والإحساس بالضياع ساهمت في تفاقم هذه المعاناة. في اليوم السابع من الرحلة، يذكر آيكس بأنهم كانوا في شدة الإرهاق والعطش، وفي غياب الماء العذب، اضطروا إلى أن يبلوا رمقهم بماء مالح أحيانا وبالبول أحيانا أخرى، حتى أن بعضهم فضل الهلاك في ذلك المكان على مواصلة السير، وهكذا تناقص عددهم إلى 24 شخصا (Doornbos 62-63).

من المشاهد المؤلمة التي يصورها آيكس، وتعكس عمق المعاناة التي تلقاها الهولنديون على يد البدو، هذا المشهد الذي حدث لهم، وهم مرهقون من شدة العطش والجوع، في منطقة، بالقرب من "الدقم"، ساحلية تخلو من أي حجر أو شجر يمكنهم استخدامه للدفاع عن أنفسهم، فكان الخذلان والاستسلام:

قدموا إلينا بشراسة، ووضعوا سيوفهم المسلولة على بطوننا وصدورنا، وخناجرَهم المعقوفة على نحورنا، وأجبروننا على خلع ملابسنا عدا السراويل. ومن لم يستجب منا على جناح السرعة، خُلعتْ منه ملابسه بالقوة. نظر بعضنا إلى بعض بعيون مغرورقة بالدموع، وأخذنا نتأوه، ولكنهم ضحكوا منا. ومع ذلك، حمدا للرب أنه ألان قلوبهم إلى حد ما. أعادوا إلينا أوعيتنا الخالية، وأعطوا أحدنا قميصا، والآخر سترة، والبعض أعطوه قمصانا داخلية. بعد ذلك، أومأوا لنا بأنه يمكننا الانصراف، ولكنهم ودعوننا برشقنا بقليل من الحجارة (Doornbos 65).

ورغم هذه المعاملة القاسية من هؤلاء البدو الذين وصل بهم الأمر أحيانا إلى تجريد الهولنديين من ملابسهم وتركهم عراة يتلظون صهد الشمس في النهار ويعانون شدة البرد بالليل، فإن حسن الضيافة والمعاملة الكريمة التي تلقوها من بدو آخرين ليست نادرة في سرد آيكس لهذه الرحلة. يذكر أنهم في طريقهم رآهم بعض الصيادين فأقبلوا عليهم يسألونهم من أين أتوا وعما حل بهم، فلما أخبروهم بقصتهم أخذتهم الشفقة عليهم واصطحبوهم إلى دراهم، وهنا تتجلى لنا معاني الكرم العربي والروح الإنسانية الطيبة في هؤلاء الصيادين رغم فقرهم وعوزهم. يقول آيكس:

تبعناهم، وفورا وصلنا إلى دارهم: عبارة عن شجرة سمر في أرض مستوية، وهي مأوى لنسائهم وأطفالهم وجمالهم وحميرهم وشياههم وكلابهم. أغلى ممتلكاتهم المنزلية يتمثل في وعاء، وصناديق خشبية، وأصدافَ المحار. رمقتنا نساؤهم بكثير من الشفقة والرحمة، وتأسفن على مظهرنا المزري. سألونا جميع أنواع الأسئلة ثم دعونا إلى أن نشاركهم الطعام، رغم فقرهم. أعطونا زعانف سمك القرش المشوية، وشيئا من لحمه المجفف، وقليلا من التمر(Doornbos 72).

ويضيف آيكس أيضا بأن هؤلاء الصيادين الفقراء زودوهم إبان رحيلهم بحليب شياههم، وملابس تستر أجسادهم. وهكذا يتبين لنا من وصف آيكس لهذه الرحلة أنهم كلما اقتربوا من الأماكن المأهولة بالناس، وجدوا الكرم والضيافة وحسن الاستقبال. في منطقة قريبة من رأس الحد، لعلها بلدة "الأشخرة"، التقوا بأربعة رجال عائدين من الصيد ولديهم وفرة من الأسماك، فطلب الهولنديون منهم بعض الطعام، ولكن الرجال كانوا كرماء فدعوهم إلى منازلهم. يقول آيكس:

أشاروا إلينا بأن نذهب معهم. فعلنا ذلك، ووصلنا بعد قليل إلى أكواخهم. تأسفت نساؤهم لحالنا، ووعدننا بتحضير الطعام لنا. أعطونا من السمك المقلي، والتمر، والماء، قدر كفايتنا، حتى أنهم كانوا يتمتعون بمراقبتنا ونحن نلتهم الطعام بنهم. كانت نعمة كبيرة أنهم كانوا جِدَّ أسخياء في إعطائنا الطعام. في ذلك المساء، وجدنا أيضا أناسا رحماء؛ رحبوا بنا بالطريقة ذاتها (Doornbos 84).

أما حين وصلوا رأس الحد، فلا يذكر آيكس أية مضايقات واجهتهم، بل يؤكد بأنهم التقوا بربان سفينة آواهم في بيته وأطعمهم، ثم حملهم على مركبه إلى صور، وهناك أيضا التقوا بصاحب سفينة أكرمهم ونقل إلى مطرح بأمان.

**السفينة الأمريكية كمرس**

بعد جنوح السفينة الأمريكية كمرس على شاطئ ظفار في جنوب عمان، يحدثنا دانيل ساوندرز عن رحلة المعاناة التي ابتدأت منذ أخذهم قوارب النجاة من السفينة واتجاههم إلى الشاطئ، حيث كان هناك في انتظارهم ثمانية من البدو، أو "البرابرة" و"المتوحشين" كما يسميهم هو، ولكنهم لم يقعوا في أيديهم؛ لأنهم ابتعدوا عن الشاطئ بقواربهم. ولكن المعاناة الحقيقية بدأت مع الرياح والأمواج العالية، فعلى الرغم من استطاعتهم أن يسيروا بتلك الزوارق لمدة ثلاثة أيام بمحاذاة الشاطئ عازمين المواصلة إلى مسقط، فإن الأمواج العاتية أغرقت بعض زوارقهم فهلك من عليها، ولم ينج منهم إلا ثمانية عشر شخصا خلصوا إلى الشاطئ وآثروا المشي على أقدامهم إلى مسقط.[3]

تبدو لحظة المواجهة مع "المتوحشين" و"البرابرة" في قصة ساوندرز منذ محاولتهم النجاة بزوارقهم إلى "الشاطئ القاسي للجزيرة العربية"، حيث يروي أن قبطان السفينة تقدمهم بقاربه لاكتشاف المكان فوجد حوالي أربعة عشر "متوحشا، أوضحت تصرفاتهم الهمجية عن نزعة عدوانية لاإنسانية" ( Saunders 1794: 8-9). وهكذا يمضي ساوندرز ساردا المحن والمشاق التي واجهها ورفاقه حتى وصولهم إلى مسقط، وهو في غضون ذلك أيضا ينوه بمواقف الكرم وحسن الاستقبال التي تلقوها من بعض العمانيين الفقراء الذين مروا بهم في قراهم وأكواخهم. من مشاهد المعاناة التي ذكرها ساوندرز في قصته، هجوم مجموعة من البدو عليهم بعد أن غرقت زوارقهم وأخذوا يمشون على الشاطئ. يقول:

من سوء حظنا في حوالي الساعة الثالثة ظهرا، هجم علينا ثمانية عشر رجلا من الهمج يمتطون جمالهم مسلحين بالرماح، والسيوف المعقوفة، والسكاكين. باغتونا قبل أن نستعد للدفاع عن أنفسنا. ولعدم قدرتنا على ردهم، أخذوا في سرقة كل ما نملك، بل جردونا من قمصاننا التي نلبسها،

وحين ناشدناهم بالإشارة أن اتركوا لنا شيئا نقي به أجسادنا من حرارة الشمس، تلكأوا، ولكن بعد اقتناعهم بأنهم لا يستطيعون حمل كل الغنيمة، أعطونا بعض الخرق القديمة التي زهدوا فيها. بعد ذلك فصلوا البيض منا عن السود، واختاروا أفريقيا اسمه جوبا هيل، من بوسطن كان طباخا للسفينة. أخذوه وربطوه، دون أن نستطيع إنقاذه منهم رغم استغاثته بنا (Saunders 1794: 18-19).

وفي موضع آخر، يذكر ساوندرز بأنهم، وبعد مسيرة أيام من الجوع والعطش، رأوا ثلاثة من البدو يصيدون على البحر، ولما أومأوا إليهم بأنهم عطشى ويحتاجون منهم بعض الماء، أخذهم البدو إلى رفاقهم من الصيادين، وهناك باستخدام "الهراوات" أخذوا يفتشونهم بحثا عن المال، وحين لم يجدوا لديهم مأربهم نهبوا بعض كتبهم وأوراقهم، وأخذوا من أحدهم لحافا كان يستر به عورته؛ فتركوه عاريا، وذهبوا عنهم دون أن يعطوهم شيئا من الماء (Saunders 1794: 23).

لم تكن مواجهة بعض البدو القساة، والذين من المحتمل أنهم كانوا قطاع طرق، هي العقبة الكأداء في مسيرة أولئك الأمريكان البؤساء الذين لفظهم مصيرهم في تلك المنطقة النائية والموحشة من سواحل عمان، وإنما شدة الحرارة، ووعورة التضاريس، والخوف من الوحوش البرية، والجوع والعطش، والأزمات النفسية من جراء الإحساس بالهلاك والنأي كانت الأشد ضراوةً والأنكى محنةً. يذكر ساوندرز في قصته أنهم ذات يوم، بعد مسير مرهق في النهار، لم يتمكنوا من النوم طوال الليل؛ ذلك أنهم كانوا "مرعوبين جدا من صراخ وعويل بعض الحيوانات البرية، كبنات آوى، وغيرها من الوحوش" (Saunders 1794: 26). أما عن الجوع والعطش، فإن ساوندرز لا يني طوال القصة من وصف تلك اللحظات العصيبة التي اضطروا أحيانا فيها، كما فعل

الهولنديون من قبلهم، إلى شرب ماء كدر ومالح، بل وإلى شرب البول أحيانا أخرى. وقد بلغ بهم العطش أحيانا أن حلوقهم جفت حتى لم يتمكنوا من بلع الطعام رغم جوعهم الشديد. يقول: "وجدنا كمية وافرة من صغار السمك في شبكة صيد على الشاطئ، لكن أفواهنا كانت ظامئة وجافة إلى حد أننا لم نتمكن من أكل أي شيء منها" (Saunders 1794: 35). وفي موضع آخر يصور لنا ساوندرز حرارة الشمس وبطشها بأجسادهم بهذه اللغة:

إن الشمس خلال اليومين الماضيين قرّحت أجسادنا، على نحو فظيع جعلنا في حالة يرثى لها؛ حتى أننا لم نستطع المشي، ولا الجلوس، ولا النوم، من فرط العذاب. وفي الصباح لم نقو على النهوض ولا احتمال الذباب الذي ظل طوال الليل يحفر في جلودنا مخلفا بيضه فيها، على نحو مؤلم لا يمكن لأحد احتماله (Saunders 1794: 60-61).

إضافة إلى هذه المعاناة الجسدية التي واجهها الأمريكان في رحلتهم العسيرة إلى مسقط، فإن المعاناة النفسية والإحساس بالهلاك والضياع كانت وجها آخر من وجوه محنتهم في هذا الرحلة. يصف ساوندرز لحظات مؤلمة في الطريق، حين اظطروا أحيانا إلى ترك بعض رفاقهم، الذين بلغ بهم الإعياء واليأس من النجاة، في الصحراء يواجهون الموت المحتوم دون استطاعتهم على البقاء معهم أو إنقاذهم. يذكر مثلا أنهم مرة تركوا أحدهم وقد خارت قواه وانهارت أعصابه بفعل قسوة الطقس ليلا ونهارا، فقرر عدم المضي في الرحلة معهم وحفر قبره في ذلك المكان الموحش من الصحراء (Saunders 1794: 43).

وعلى الرغم من هذه المعاناة والمحن التي واجهها ساوندرز ورفاقه، فإن مواقف الكرم وحسن الاستقبال التي تلقوها من بعض أهل عمان ليست قليلة في هذه القصة، خاصة حين ابتعدوا عن المناطق الموحشة في الصحراء التي انعدم فيها الأمن وكثر قطاع الطرق. وفي الحقيقة، نجد في قصة ساوندرز مظاهر

اللطف وحسن المعاملة حتى في الأصقاع البعيد عن القرى والأماكن المأهولة بالسكان. يذكر مثلا أنهم كانوا في غاية العطش وعز عليهم الماء لأيام، وفجأة وجدوا بدويا يصيد على الشاطئ، وحين فهم من إشاراتهم بأنهم يريدون الماء أخذهم إلى واد قريب من الشاطئ، لم يكونوا يعرفونه. يقول ساوندرز: "لقد كان عطوفا جدا، فأخذنا إلى واد وجدنا فيه نبع ماء جيد، وبعض الطيور، والأشجار الوارفة؛ فارتوينا وأخذنا قسطا من الراحة (Saunders 1794: 41). وفي موضع آخر ليس بعيدا عن هذا الوادي، يذكر بأنهم وجدوا مجموعة من السكان يقارب عددهم حوالي 160 شخصا، يسكنون في غيضة ذات أشجار وأحراش. ويصفهم بأنهم فقراء لا يملكون أكواخا ولا سقوفا يحتمون بها سوى الأشجار يستظلون تحتها، وكانت حقائبهم وأواني طبخهم مبعثرة هنا وهناك، ولكنهم أكرموهم غاية الإكرام. يقول: "أعطونا الكثير من السمك والماء، فأكلنا وشربنا قدر استطاعتنا، كما أنهم زودونا ببعض السمك لنحمله معنا، فشكرنا السماء وهؤلاء المحسنين" (Saunders 1794: 44). وهكذا يظهر من قصة ساوندرز أنهم كلما اقتربوا من الأحياء التي يسكنها الناس، وجدوا استقبالا لطيفا وضيافة كريمة. يصف لنا مثلا هذا الموقف:

نزلنا من التلال إلى واد قرب البحر، فوجدنا لحسن الحظ كوخين صغيرين يقطنهما رجل وامرأة عجوزان. قدما لنا كمية وفيرة من السلطعون المطبوخ، فكان وجبة لذيذة. ولكنهما لم نجد لديهما ماء؛ إذ كان النبع بعيدا عنهما. وبعد أن شكرناهما على ضيافتهما الكريمة، ودعناهما وواصلنا سيرنا عبر الوادي حتى مغيب الشمس، ثم التقينا برجلين قدما لنا من الماء حتى ارتوينا (Saunders 1794: 52).

ويؤكد ساوندرز أن هذين الرجلين عرضا عليهم أن يدبرا لهم قافلة من الإبل تحملهم إلى مسقط بخمسة وعشرين دولارا لكل فرد منهم، على أن يدفعوا لهم لاحقا عند الوصول، فكان عرضا سخيا أنقذهم من الهلاك والضياع في تلك الفيافي القاحلة. وطوال رحلة القافلة إلى مسقط، لم يذكر ساوندرز أية محاولة للإيذاء أو النهب كما حصل لهم من بعض قطاع الطرق سابقا، بل يؤكد أنهم استقبلوا في كثير من القرى العمانية باللطف والكرم، رغم عوز الناس وفقرهم في ذلك الوقت. بل حتى أولئك البدو وقطاع الطرق، الذين وصفهم ساوندرز بـ "المتوحشين" أو "البرابرة" لم يصل إيذاؤهم لضحايا السفينة الأميركية إلى القتل والعنف الجسدي، رغم قدرتهم على ذلك لو أرادوا؛ فقد كانوا مسلحين بالخناجر والسيوف، بينما كان الأمريكان عزلا ومرهقين من الكارثة التي ألمت بهم. وما محاولتهم لسرقة ملابسهم وتفتيشهم لهم بحثا عن المال إلا عن عوز وفقر مدقع كان يقاسيه أولئك البدو في ذلك الوقت. وهذا ما فهمه ساوندرز وصرح به في آخر رحلته. نجده في الملحق الأخير من القصة يقول:

إن علامات الفقر شاهدة عليهم، خاصة أولئك الذين التقينا بهم في بداية رحلتنا. الرجال بشكل عام لم يكن لديهم من الملابس سوى خرق من القطن يسترون بها الجزء السفلي من أجسادهم، وأحيانا يضعون جلد الماعز على رؤوسهم. ويمشون حفاة. حين أعطونا بعض الماء الذي يجلبونه من آبار بعيدة عن مساكنهم، كان أغلى ما لديهم، ولم يكونوا طبعا يعرفون المشروبات الغالية؛ لأنهم زهدوا في قناني النبيذ التي لفظها البحر على شواطئهم بعد جنوح سفينتنا. ولم تكن مساكنهم سوى أكمة من الأشجار يستظلون تحتها، وبعضهم كان يملك خياما. وحين سرقونا لم يمارسوا العنف على أحد منا (Saunders 1794: 2).

**الخاتمة**

إن قصص جنوح السفن في العالم مليئة بحكايات عن ضحايا لقوا مصيرا مزريا، إما بالتعذيب، أو القتل، أو الأكل على أيدي بعض الوحوش البشرية من أكلة لحوم البشر. ففي سنة 1701 جنحت السفينة الإنجليزية ديجريف Degrave التابعة لشركة الهند الشرقية في جزيرة مدغشقر، ومعظم الناجين من الغرق "قتلهم بوحشية" أهل الجزيرة (Ballkan 2008: 110). ومن العجيب حقا في هذه القصص أن الناجين من الغرق أنفسهم أحيانا يتحولون إلى وحوش يأكلون بعضهم بعضا. وقصص السفن الغربية الجانحة تزخر بحكاية مزرية حول مثل هذا السلوك العدواني. في عام 1618، شب حريق في سفينة هولندية اسمها نيو هورن New Horn عند مضيق سوندا في إندونيسيا، وكان على متنها 260 راكبا. نجا منهم 72 فقط، ولكن هؤلاء، كما يؤكد قبطان السفينة بونتيكو الذي روى حكاية الكارثة، وفي غياب الأكل والبعد عن اليابسة لأيام، تحولوا إلى أكلة لحوم البشر cannibals وقرروا أن يأكلوا الأطفال الناجين معهم على القوارب ( Redding 1833: 20). ومن أفظع القصص التي تروي الوحشية والبربرية التي اتسم بها بعض الأوروبيين الناجين من غرق السفن، قصة السفينة النرويجية دروت Drot التي ضربها إعصار في سواحل فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية يوم 11 أغسطس سنة 1899، فغرقت وكان على متنها 17 راكبا لم ينج منهم إلا ستة رجال امتطوا عوامة ملحقة بالسفينة. ولكن الكارثة الحقيقية أن هؤلاء الستة لم يبق منهم إلا اثنان تحولا إلا وحشين وأخذا يفتحان صدور رفاقهم المرهقين بالسكاكين ويخرجان قلوبهم فيشربان الدماء ويأكلان اللحم (McCarthy 1992: 81-82).

وبشكل عام، نستطيع القول بأن الناس في عمان كانوا ودودين مع ضحايا جنوح السفن الأجنبية؛ فقد عاملوهم بلطف، غالبا، موفرين لهم الغذاء

والماء والإقامة أحيانا. كانت الرحلات التي قام بها الناجون من تلك السفن من الساحل إلى العاصمة مسقط طويلة، ومضجرة، وخطيرة. وعلى هذا النحو، توفي بعضهم على طول الطريق بسبب الظروف المناخية القاسية للصحراء؛ فقد كان مسيرهم عبر أراض حارقة وجبال صماء وصخور عارية. بعض الناجين من تلك الحوادث كان يعتمد على أكل النباتات وما يلفظه البحر من أسماك نافقة، ولكن في كثير من الأحيان كان أهل عمان يوفرون لهم التمر والماء رغم غلاء هذين العنصرين آنذاك. القصص التي كتبها بعض الناجين من جنوح السفن تتضمن مشاهد عديدة من الكرم الذي أسبغه العمانيون على أولئك الضحايا. دانيل ساوندرز في قصته يخبرنا عن فتاة صغيرة التقوا بها في الصحراء فعرضت عليهم الذهاب معها إلى قريتها لإطعامهم وتوفير الماء لهم. وعند وصولهم القرية، التقوا برجل آسيوي كان قد نجا من سفينة جنحت على ساحل عمان، وقد اعترف لهم بأنه وجد العمانيين مهذبين وكرماء مما جعله يؤثر البقاء في عمان. وفي قصة السفينة الهولندية أمستلفين، على الرغم من بعض الأوضاع المؤسفة التي حلت بالطاقم، مواقف عديدة أيضا تثبت أن العمانيين أحسنوا معاملة الهولنديين وأكرموهم رغم عوزهم وفاقتهم في ذلك الوقت. وكما رأينا فإن كورنيليس آيكس روى في صفحات مختلفة من قصته أن 'العرب' أخذوهم إلى أكواخهم، وقدموا لهم السمك المقلي، والتمر، والماء.

الرحالة الإنجليزي جون أوفينجتون، والذي زار عمان سنة 1693، يؤكد هذا المسلك اللطيف الذي اتبعه العمانيون في تعاملهم مع الغرباء. يقول:

هؤلاء العرب مهذّبون جداً في تصرّفِهم، وفي غاية اللطف إلى كُلّ الغرباء؛ فلا أذى ولا إهانة يمكن أن تصدر منهم لأي أحد. ورغم أنهم متشبثون جدا بمبادئهم، ومعجبون بديانتهم، لا يفرضونها على أحد، كما أن أخلاقهم ليست مطبوعة على التعصب الأعمى الذي يجردهم من الإنسانية. وبإمكان المرء أن

يسافر مِئات الأميالِ في هذه البلادِ دون أن يواجه أي كلام مسيء أَو أيّ سلوك قد يبدو وقحا (Ovington 1929: 251).

ويؤكد أوفينجتون بأن الغريب في عمان يمكنه أن يحمل نقوده في يده بأمان، دون أن يضطر لحمل السلاح لحماية نفسه، بل يمكنه أن ينام بنقوده في الخلاء، وكأنه "مضطجع في طريق الملك". ويدلل على ذلك بقصة الكابتن إدوارد سي Edward Say الذي، كما يزعم، عاش بين العمانيين في مسقط سنوات عدة، وأنه انتقل إلى أماكن أخرى في عمان، دون أن يتعرض لأذى أو سرقة، مع أنه كان ينام أحيانا في الطرقات، والحقول (Ovington 252).

## قائمة المصادر


Balkan, Evan. (2008) *Shipwrecked! : deadly adventures and disasters at sea*. New York : Menasha Ridge Press.

Burch, Julia. (1994) "Sink or Swim: Shipwreck Narratives, Survival Tales, and Postcultural Subjectivity." Diss., University of Michigan.

Doornbos, Klaas. (2012) *Shipwreck & survival in Oman, 1763 : the fate of the Amstelveen and thirty castaways on the South Coast of Arabia : based on the notes of Cornelis Eyks*. Amsterdam: Pallas Publications.

Duffy, James. (1955) *Shipwreck and empire : being an account of Portuguese maritime disasters in a century of decline*. Cambridge, Mass. : Harvard U.P.

Gibbins, David and Adams, Jonathan. (2001) "Shipwrecks and maritime archaeology," *World Archaeology* Vol. 32(3): 279- 291.

Hamilton, Alexander. (1930) *A New Account of the East Indies*, vol 2. London: The Argonaut Press.

Horne, Richard. (1851) "Life and Luggage," *Household Words* Vol 4. (8): 152-156.

Huntress, Keith. (1975) *Narratives of shipwrecks and disasters, 1586-1860*. Ames : Iowa State University Press.

Lorimer, John. (1970) *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*. Vol 2. London: Gregg Publishing.

Marx, Robert F. (1987) *Shipwrecks in the Americas*. New York : Dover Publications.

McCarthy, Kevin M. (1992) *Thirty Florida Shipwrecks*. Florida: Pineapple Press.

Ochs, Peter. (1999) *Maverick Guide to Oman*. New York: Pelican Publishing.

Ovington, John. (1929) *A Voyage to Surat in the Year 1689*. Oxford: Oxford University Press.

Palgrave, William. (1865) *Narrative of a year's journey through Central and Eastern Arabia*, (1862-1863). Vol 2. London ; Cambridge : Macmillan.

Redding, Cyrus. (1833) *A history of shipwrecks, and disasters at sea, from the most authentic sources*. vol 2. London: Whittaker, Treacher.

Saunders, Daniel. (1794) *A journal of the travels and sufferings of Daniel Saunders*. Salem: Thomas C. Cushing.

1 – سنخصص لاحقا صفحات لدراسة هذه القصة في هذه الدراسة.

2 – سنخصص لاحقا صفحات لدراسة هذه القصة في هذه الدراسة.

3 – يذكر ساوندرز أن جملة من كانوا على هذه الزوارق 34 شخصا، ويعددهم بعنصرية واضحة فاصلا البيض عن السود والآسيويين. يقول: "عشرون من البيض، وثلاثة عشر من البحارة الهنود، وأفريقي أسود" (Saunders 1794: 10).